الوجيز في الثقافة الإسلامية

طبعة جديدة
مزيدة ومنقحة

الدكتور همام سعيد
الدكتور صلاح الخالدي
الأستاذ محمود حمودة

الاستشراق والتبشير

بدأ الاستشراق بدراسة اللغة العربية والإسلام، فقد حضر بعض الرهبان الغربيين إلى الأندلس في إبان عظمتها ومجدها وتثقفوا في مدارسها وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم وتتلمذوا على علماء المسلمين في مختلف العلوم وبخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات.

وبعد التوسع الاستعماري الغربي في الشرق، أصبح الاستشراق يهتم بدراسة جميع عادات الشرق وحضاراته وجغرافيته وتقاليده وأشهر لغاته، وإن كانت العناية بالإسلام والآداب العربية والحضارة الإسلامية هي أهم ما يعنى به المستشرقون حتى اليوم، نظراً للدوافع الدينية والسياسية التي شجعت على الدراسات الشرقية.

فالاستشراق ينطلق على: الدراسات التي يقوم بها غير الشرقيين لعلوم الشرقيين ولغاتهم وتاريخهم وأوضاعهم الاجتماعية وغيرها بشكل عام.

أما التبشير فهو: حركة سياسية محاربة تهدف إلى نشر الديانة النصرانية في المجتمعات الإسلامية خاصة ودول العالم الثالث عامة وتريد في الواقع إحكام السيطرة على هذه الشعوب.

دوافع الاستشراق:

١- **الدافع الديني:** فالمستشرقون كان همهم الطعن في الإسلام وتشويه محاسنه وتحريف حقائقه ليثبتوا لجماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدينية أن الإسلام دين لا يستحق الانتشار، وأنه يحث المسلمين على الملذات الجسدية ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي.

٢- **الدافع الاستعماري:** لما انتهت الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيين لم ييأس الغربيون من العودة لاحتلال بلاد الإسلام، فاتجهوا إلى دراسة هٰذه البلاد في كل شؤونها من عقيدة وعادات وأخلاق وثروات، ليتعرفوا على مواطن القوة فيها فيضعفوها، وعلى مواطن الضعف فيغتنموها.

ولما تم لهم الاستيلاء العسكري والسيطرة السياسية كان من دوافع تشجيعهم للاستشراق إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوسنا، وذٰلك عن طريق التشكيك بما عندنا من عقيدة وقيم إنسانية، فنفقد الثقة بأنفسنا ونرتمي في أحضان الغرب.

٣- **الدافع التجاري:** ويتمثل في رغبة الغربيين في التعامل معنا لترويج بضائعهم وشراء مواردنا الطبيعية بأبخس الأثمان، ولقتل صناعتنا المحلية التي كانت لها مصانع قائمة مزدهرة

في مختلف بلاد العرب والمسلمين[١].

٤- **الدافع السياسي:** فقد قام المستشرقون ببث الدسائس للتفرقة بين الشعوب الاسلامية بحجة توجيه النصح وإسداء المعونة بعد أن درسوا تماماً نفسية أكثر المسؤولين في تلك البلاد وعرفوا نواحي الضعف في سياستهم العامة.

أهداف الاستشراق:

١- التشكيك بصحة رسالة النبي ﷺ ومصدرها الإلهي، فكثير منهم ينكر أن يكون الرسول محمد ﷺ نبياً يُوحى إليه من عند الله تعالى، وقد كان إنكارهم لنبوة النبي ﷺ تعنتاً مبعثه التعصب الديني الذي يملأ نفوس أكثرهم كرهبان ومبشرين.

٢- إنكار أن يكون القرآن كتاباً منزلاً على محمد ﷺ من عند الله عز وجل، وحين يفحمهم ما جاء في القرآن من حقائق علمية لم تعرف وتكتشف إلا في هٰذا العصر، يرجعون ذٰلك إلى ذكاء النبي ﷺ وعبقريته فيقعون في تخبط عجيب وغريب.

٣- إضعاف ثقة المسلمين بتراثهم، وبث روح الشك في كل ما بين أيديهم من عقيدة وقيم ومثل عليا، ليسهل على الاستعمار تشديد وطأته عليهم ونشر ثقافته الحضارية فيما بينهم، فيكونوا عبيداً لها، يجرهم حبها إلى حبهم أو إضعاف روح المقاومة في نفوسهم.

٤- إضعاف روح الإخاء الإسلامي بين المسلمين في مختلف أقطارهم عن طريق إحياء القوميات التي كانت قبل الإسلام، وإثارة الخلافات والنعرات بين شعوبهم.

٥- أَهداف علمية خالصة لا يقصد منها إلا البحث والتمحيص ودراسة التراث الإسلامي، وهٰذا الصنف عدده قليل جداً، وهم مع إخلاصهم في البحث والدراسة لا يسلمون من الأخطاء والاستنتاجات البعيدة عن الحق، إما لجهلهم بأساليب اللغة العربية وإما لجهلهم بالأجواء الإسلامية التاريخية على حقيقتها.

ومن هٰؤلاء من يؤدي بهم البحث الخالص إلى إعتناق الإسلام والدفاع عنه في أوساط أقوامهم الغربيين، كما فعل المستشرق الفرنسي (رينيه) الذي عاش في الجزائر فأعجب بالإسلام وأعلن إسلامه وتسمى باسم (ناصر الدين) وله كتاب (أشعة خاصة بنور الإسلام) بيّن فيه تحامل قومه على الإسلام ورسوله[٢].

---

(١) مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون، ص١٨.

(٢) مصطفى السباعي، مرجع سابق، ص٢٥.

هٰذا، ولم يترك المستشرقون وسيلة لنشر أبحاثهم وبث آرائهم إلا سلكوها، فقد أَلفوا الكتب في موضوعات مختلفة عن الإسلام وقرآنه، وفي معظمها كثير من التحريف المتعمد في نقل النصوص أو ابتسارها وفي فهم الوقائع التاريخية والاستنتاج منها.

ولعل من أَخطر هٰذه الكتب ما كتبه المستشرق الأمريكي ماكدونالد (D.B.Macdonald) والذي يعتبر من أشد المتعصبين ضد الإسلام والمسلمين، وهو يصدر في كتاباته عن روح تبشيرية متأصلة، ومن كتبه «الموقف الديني والحياة في الإسلام» سنة ١٩٠٨م و«تطور علم الكلام والنظرية الدستورية في الإسلام» ١٩٠٣م.

ومن الكتب الخطيرة أيضاً كتاب « مذاهب التفسير الإسلامي» للمستشرق المجري جولد تسيهر (Goldizher) والذي عرف بعدائه للإسلام وبخطورة كتاباته عنه.

وسائل الاستشراق:

١- التديس الجامعي.

٢- إصدار المؤلفات والمجلات وترجمة كتب التراث.

٣- إقامة الجمعيات والنوادي وعقد المؤتمرات والندوات التي تخدم مخططاتهم.

وسائل التبشير في العالم الإسلامي:

يمكن تقسيم الوسائل الكثيرة التي يستخدمها التبشير المسيحي في غزوه الصامت للعالم الإسلامي إلى مجموعات تخدم ثلاثة مجالات رئيسة هي: المؤثرات الفكرية، والعلاج الطبي، والشؤون الاجتماعية.

أ- **المؤثرات الفكرية:** ومن هٰذه المؤثرات ما يلي:

١- الدعوة إلى التسامح المشبوه: فالتسامح الذي ينادي به النصارى الآن هو دعوة المسلمين إلى التزام السكوت، وهم يرون المسلمين مستهدفين لمحاولات التنصير وما يستخدم في سبيله من مختلف وسائل الإعلام والإغراء المشروعة وغير المشروعة، وهٰذا أمر لا يمكن السكوت عليه.

٢- الدعوة إلى الشعوبية والقومية: من أجل تخريب العالم الإسلامي وتقطيع أوصاله فقد لفق المبشرون وأشياعهم لكل بلد إسلامي قومية محلية أو دعوا إلى التمسح بشعار العروبة ورفع لوائها باعتبارها انسلاخاً عن الإسلام رغم ما في ذٰلك من مجافاة للحقائق المعروفة،

فالإسلام هو الأعم والأشمل، وهو القوة الكبرى التي تظل العروبة وتستطيع أن تحميها وتدرأ عنها الأخطار[١].

٣- تمزيق الوحدة الإسلامية: إن المبشرين حرب على كل تجمع إسلامي صغر أو كبر، ولقد كانت لهم اليد النشطة في العمل على انهيار الخلافة العثمانية، فخططوا لذلك مبكراً وتجمعت كل القوى المعادية للإسلام لتعمل معاً من أجل تحقيق ذلك الهدف.

٤- بناء أكبر عدد من الكنائس والاهتمام بمظهرها: وذلك حتى تؤثر في عقول الزائرين وفي عواطفهم وخيالاتهم فإن ذلك يقرب غير النصارى إلى النصرانية[٢].

ب- **العلاج الطبي**: تحرص مؤتمرات التبشير على أن تكون توصياتها وقراراتها مؤكدة على استخدام العلاج الطبي في التبشير فتقول: يجب الإكثار من الإرساليات الطبية لأن رجالها يحتكون دائماً بالجمهور ويكون لهم تأثير على المسلمين ويجب على طبيب إرساليات التبشير أن لا ينسى ولو للحظة واحدة أنه مبشر قبل كل شيء ثم هو طبيب بعد ذلك.

وفي جميع الأحوال فإنهم لا يعالجون المريض إلا بعد أن يحملوه على الاعتراف بأن الذي يشفيه هو المسيح، أو قبل أن يركع المرضى يسألون المسيح أن يشفيهم»[٣].

وهكذا حَوَّل المستشرقون الطب إلى وسيلة خداع وأداة رق تسترق الروح فتفتن فقراء المسلمين في دينهم بعد أن وقعوا فريسة في أيدي ذئاب في جلود نعاج[٤].

جـ- الشؤون الاجتماعية: أصبحت أعمال المبشرين مشفوعة بأسباب اجتماعية مثل:

١- إيجاد أندية الاعتناء بالتعليم الرياضي وأعمال الترفيه والحيلولة دون الزواج المبكر.

٢- استغلال حالات الفقر والحاجة بتقديم المساعدات شريطة الانضمام إلى الكنيسة.

٣- التركيز على المرأة المسلمة: بما أن الأثر الذي تحدثه الأم في أطفالها بالغ الأهمية فيجب على الهيئات التبشيرية أن تؤكد جانب العمل بين النساء المسلمات على أنه وسيلة مهمة في التعجيل بتنصير البلاد الإسلامية.

٤- التقاط أطفال المسلمين بمختلف السبل: كنظام تَبني الأطفال البائسين أو الأسلوب الذي يحمل شعار (انقذوا الأطفال).

---

(١) أحمد عبد الوهاب، حقيقة التبشير، ص١٧٥.

(٢) مصطفى الخالدي وعمر فروخ، التبشير والاستعمار، ص٢٠٨.

(٣) مصطفى الخالدي وعمر فروخ، المرجع نفسه، ص٦٢.

(٤) أحمد عبد الوهاب، مرجع سابق، ص١٨١.

٥- استدراج المسلمين إلى جمعية الشبان المسيحيين: يقول (ولبرت سميث): «إن هدف جمعية الشبان المسيحيين هو تنشئة الشبان على أسس مسيحية، ولفروع هٰذه الجمعية منهاج دائم، ولها اجتماعات تعرض فيها الدعوة بلا استحياء ولا تحوير، وهناك أيضاً سلسلة من الاجتماعات التبشيرية»[١].

أساليب المبشرين:

١- التطبيب.

٢- التعليم.

٣- الاعلام.

٤- الأعمال الاجتماعية.

٥- تشجيع تحديد النسل بين المسلمين.

أهداف التبشير:

١- تمزيق الوحدة الإسلامية.

٢- إثارة الطائفية والعصبية.

٣- تدمير الأخلاق الإسلامية.

٤- نشر النصرانية ومحاربة كل ما هو اسلامي.

---

(١) مصطفى الخالدي وعمر فروخ، مرجع سابق، ص٢٠٢.